

العلاقة بين الفوتوغرافيا والذاكرة الجمعية في أوقات الأزمات

قراءة تحليلية سيميائية لصور كارثة إعصار درنة (سبتمبر 2023)

أ. رمزي محمود خليفة بن يحيى
كلية الفنون والتصميم، جامعة طرابلس
r.bn-yahya@uot.edu.ly

المخلص

تتناول هذه الدراسة كيفية إسهام الصور الفوتوغرافية التي وثّقت كارثة إعصار درنة في ليبيا، في سبتمبر 2023، في تشكيل تمثيلات جماعية للكارثة واستعادة معانيها داخل المجتمع الليبي. وتتطرق الدراسة من تصور موريس هالفاكس للذاكرة الجمعية¹، الذي يؤكد أن الذاكرة الفردية تتشكل وتُستعاد داخل أطر اجتماعية وجماعية²، ومفهومي "الستوديوم" و"البونكتوم" عند رولان بارت، في تحليل الدلالات الظاهرة والمؤثرة في الصورة الفوتوغرافية³، وتعتمد الدراسة المنهج السيميائي الكيفي على عينة قصدية مكوّنة من تسع صور، موزّعة بالتساوي بين ثلاثة مصادر محلية ليبية (وكالة الأنباء الليبية، ليبيا الأحرار، الهلال الأحمر الليبي) وثلاث مراحل زمنية (لحظة الحدث، ما بعد الحدث، الذكرى السنوية الأولى)، خلال الفترة من سبتمبر 2023 إلى سبتمبر 2024. وكشف التحليل عن انتقال تدريجي في السردية الجمعية المهيمنة عبر المراحل الثلاث، من الصدمة الآنية إلى المعالجة النفسية الفردية فالتموضع الرمزي المؤسسي، مع تباين حاد بين المصادر الثلاثة في مرحلة الذكرى السنوية تحديداً (خطاب تعافٍ رسمي مقابل خطاب جرح مفتوح)، إلى جانب تكرار نمط بصري عابر للمصادر (تصوير الأفراد من الخلف)، وتحول معلم واحد (مسجد الصحابة) إلى علامة أيقونية متعددة التأويلات بحسب زاوية تقديمه.

الكلمات المفتاحية: الفوتوغرافيا الصحفية، الذاكرة الجمعية، إعصار درنة، التحليل السيميائي، الستوديوم والبونكتوم.

Abstract

This study examines how photographs of the Derna cyclone disaster in Libya (September 2023) contributed to shaping collective memory in times of crisis. It draws on Maurice Halbwachs's theory of collective memory and Roland Barthes's concepts of "studium" and "punctum" to address the question: How do disaster photographs function as a tool for forming a shared collective remembrance rather than merely a passing visual documentation? The study adopts a semiotic method (qualitative semantic analysis) on a

purposive sample of twelve images published by international news agencies and local and international newspapers between September 2023 and 2024. The study reached several findings, most notably: a notable recurrence of certain visual scenes, such as searching among the rubble, group images, children, destroyed homes, and rescue operations; in addition to a clear variation between international agency images and local newspapers in camera angle and visual focus; and one image distinguished itself by its powerful impact and repeated circulation, which qualifies it to be the "punctum".

Keywords:

Photojournalism; Collective Memory; Derna Flood Disaster; Semiotic Analysis; Studium and Punctum.

مقدمة

تُعَدُّ الصورة الفوتوغرافية اليوم واحدة من أكثر الوسائط قدرة على تشكيل وعي الجماهير وتوجيه إدراكها للأحداث الكبرى، خصوصاً في أوقات الأزمات والكوارث التي تفرض على الإنسان مواجهة لحظات استثنائية من الفقد والخسارة⁴. فمنذ أن طرح موريس هالفاكس مفهوم "الذاكرة الجمعية"، بات واضحاً أن تذكر المجتمعات لأحداثها المفصلية لا يتم بمعزل عن الأطر الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالأفراد، بل يُعاد تشكيله باستمرار عبر وسائط متعددة أبرزها الصورة الصحفية. وقد بينت سوزان سونتاغ أن صور الألم والكوارث لا تقتصر على توثيق الحدث، بل تؤدي دوراً في توجيه الانتباه العام إلى المعاناة وفي تحديد الصور والروايات التي تستقر في الوعي الاجتماعي بوصفها تمثيلات دالة على المأساة. ومن ثم، لا تُفهم الصورة بوصفها سجلاً محايداً للحدث، بل بوصفها تمثيلاً بصرياً يسهم تداوله في تشكيل طريقة إدراك الجمهور للكارثة وتذكرها⁵. قدّم رولان بارت أداة تحليلية دقيقة لفهم كيفية عمل الصورة على مستويين: مستوى الدلالة الظاهرة (الستوديوم)، ومستوى الدلالة الخفية المؤثرة (البونكتوم)، وهو ما يجعل الصورة الواحدة قادرة على حمل معانٍ متعددة تتجاوز لحظة التقاطها. وفي هذا السياق، شكّلت كارثة إعصار درنة في ليبيا (سبتمبر 2023) حدثاً مفصلياً تركت صورته أثراً بالغاً في الوجدان الجماعي المحلي والعربي على حد سواء، إذ تداولتها وكالات الأنباء والصحف المحلية والدولية على نطاق واسع⁶. ومن هنا، تسعى هذه الدراسة إلى مساءلة العلاقة بين الفوتوغرافيا والذاكرة الجمعية من خلال قراءة تحليلية سيميائية لعينة من هذه الصور.

الدراسات السابقة

1- دراسة عبدالله محمد اطيعه 2026⁷

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأطر الخبرية للتناول الإعلامي بالموقع الإلكتروني لقناة روسيا اليوم الفضائية لجائحة انتشار مرض كورونا عالمياً منذ ظهوره أواخر عام 2019م في

الصين واتساع رقعة انتشاره في اغلب دول العالم بشكل سريع ، تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية، اعتمد الباحث على العينة العشوائية المنتظمة يتألف مجتمع الدراسة من كافة الأخبار والتقارير الخيرية التي تم تداولها في الموقع الإلكتروني لقناة روسيا اليوم الفضائية والتي نشرت خلال الفترة الزمنية المحددة من 2020/1/1 الى 2020/3/31م كعينة زمنية لهذه الدراسة، اعتمد الباحث على أداة تحليل المضمون لعينة عشوائية منتظمة مكونة من 200 خبر على الموقع المذكور سالفاً.

أهم النتائج:

_ إن تكتم الصين عن ظهور فيروس كورونا هو أكثر أطر الأسباب الواردة ضمن المواد الخيرية المنشورة بالموقع الإلكتروني بقناة روسيا اليوم الفضائية لتغطية جائحة فيروس كورونا (COVID-19) بنسبة 5.0%.

_ إن التعاون الايطالي الروسي هو أكثر أطر التعاون الواردة ضمن المواد الخيرية المنشورة بالموقع الإلكتروني بقناة روسيا اليوم الفضائية لتغطية جائحة فيروس كورونا COVID-19 بنسبة 8.0%.

_ إن الدخول في حالة الركود الاقتصادي هو أكثر أطر العواقب الاقتصادية الواردة ضمن المواد الخيرية المنشورة بالموقع الإلكتروني بقناة روسيا اليوم الفضائية لتغطية جائحة فيروس كورونا COVID-19 بنسبة 5.0%.

_ إن تحميل الحكومات مسئولية انتشار الفيروس هو أكثر أطر العواقب السياسية الواردة ضمن المواد الخيرية المنشورة بالموقع الإلكتروني بقناة روسيا اليوم الفضائية لتغطية جائحة فيروس كورونا COVID-19 بنسبة 5.0%.

_ إن تطبيق إجراءات التباعد الاجتماعي هو أكثر أطر الحلول الواردة ضمن المواد الخيرية المنشورة بالموقع الإلكتروني بقناة روسيا اليوم الفضائية لتغطية جائحة فيروس كورونا COVID-19 بنسبة 4.0%.

2-دراسة عبدالمجيد عمار الساعدي 2025⁸

تناولت هذه الدراسة، أوجه القصور في تعامل وسائل الإعلام الليبية مع كارثة إعصار درنة تحديداً. وتمثل الهدف الرئيس للدراسة في التعرف على مواطن القصور في أداء الإعلام الليبي في التعامل مع

هذه الكارثة، والكشف عن أسباب عزوف الجمهور الليبي عن الاعتماد على الفضائيات المحلية في متابعة أخبارها.

أهم النتائج:

_عدم اعتماد الجمهور الليبي على الفضائيات الليبية في متابعة أخبار كارثة درنة، لجملة من الأسباب أبرزها فقدان المصداقية والحياد.

_اعتبار الفضائيات الليبية أدوات للصراع السياسي أكثر من كونها وسائل توعية وتشكيل رأي عام وحقيقة.

_اعتماد الجمهور الليبي على وسائل التواصل الاجتماعي أكثر من الإعلام الليبي التقليدي فيما يتعلق بمتابعة الأزمات.

3-دراسة عبد العالي بشير⁹

سعت هذه الدراسة إلى فحص الصورة الفوتوغرافية بوصفها رسالة بصرية ووسيلة لتوثيق الأحاسيس وتوقيف انسياب الزمن، من خلال تحليل صورة لشابين فلسطينيين مبتوري الرجلين في محل لبيع الأحذية، وهما يتبادلان شراء حذاء جديدا واعتمدت الدراسة المقاربة السيميائية في تحليل الصورة، مستعينة ببعض المفاهيم البارتيية في قراءة العلامات والدلالات مع التمييز بين المستوى الأول المرتبط بالإدراك الفني والتشكيلي، والمستوى الثاني المرتبط بالتأويل والدلالات الإيحائية.

أهم النتائج:

_الصورة الفوتوغرافية ليست مجرد تسجيل بصري عابر، بل هي وثيقة للأحاسيس ووسيلة لحفظ الذاكرة المجتمعية والمكانية من الضياع.

_الصورة قادرة على توقيف انسياب الزمن وتحنيط اللحظة التاريخية، بما يجعلها شاهدة على الحدث ومعبرة عن الجانب الإنساني.

_الصورة الفوتوغرافية في بعض الأحيان تحجب الحدث الأصلي وتحل محله، إذ يتركز انتباه المتلقي على العناصر البصرية أكثر من السبب الذي أدى إلى وجودها.

كشفت الدراسة عن دلالات متعددة في الصورة: دلالات حربية (الآثار البشرية والمادية للحرب)، ودلالات اجتماعية (الفقر والمعاناة)، ودلالات سياسية، تداخل السلطة وغياب الحماية.

الصورة نص بصري مفتوح على تعدد التأويلات، وتتأثر قراءتها بالمرجعيات الدينية والتاريخية والثقافية والإيديولوجية للقارئ.

أكدت الدراسة أن الصورة الفوتوغرافية تمتلك قدرة على التأثير في النفوس وتوجيه الرأي العام، وهي من الوجهة السيميولوجية علامة دالة.

4- دراسة هدى مالك 2016¹⁰

تناولت الدراسة تحليلاً سيميائياً لصورة الطفل السوري الغريق (إيلان) التي تداولتها مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية عام 2015، إبّان موجة هجرة جماعية كبيرة من سوريا والعراق نحو أوروبا. واعتمدت الباحثة نظرية رولان بارت في التحليل السيميائي، مقسّمة عملية التحليل إلى مرحلتين: المرحلة التقريرية (الوصف المباشر لعناصر الصورة الظاهرة: الطفل، وضعه، ملابسه، البحر، الساحل)، والمرحلة التفسيرية/المجازية (التأويل الرمزي لهذه العناصر). ورصدت الدراسة كيف أن ظهور معلومات إخبارية جديدة لاحقاً حول "المؤؤل الأول" (الطفل كرمز تعاطف بريء) إلى "دال ثانٍ" (الأب، الذي أشارت الأخبار لاحقاً إلى دوره في الحادثة)، وهو ما أنتج تأويلات جديدة مختلفة تماماً عن التأويلات الأولى.

أهم النتائج:

نجح المصوّر في التقاط حدث عالمي كبير عبر جسد طفل صغير لم يكن الدال الوحيد في الصورة، إذ تعددت الدوال (البحر، الأمواج، الساحل، الحذاء) وتفاعلت جميعها في ذهنية المتلقي لتتحول الصورة إلى رسالة بصرية جديدة بالتحليل السيميائي.

ظهرت الصورة أولاً كـ"أيقونة تماثلية" (واقعية) متداولة عبر منصات التواصل، ثم تحوّلت لاحقاً إلى "أيقونة رمزية إيحائية" استلهمها فنانون تشكيليون وشعراء وباحثون في أعمال لاحقة.

_تضمنت الصورة دوالاً ذات دلالة عالمية متفق عليها لدى مختلف الثقافات (الطفل، البحر، الساحل، الرمال)، ما أكسبها بعداً إنسانياً عالمياً في التعاطف، تعزز بتزامن الحدث مع أزمة الهجرة الجماعية من سوريا والعراق.

_على الرغم من كونها التقطت ميكانيكياً (بلا قصد فني مسبق)، أنتجت الصورة مدلولات إيحائية متعددة توحدت حول مرجعية إنسانية مشتركة قائمة على التعاطف مع الضحايا في أوقات المحن.

_أدى ظهور معلومات إخبارية جديدة (حول دور الأب في غرق المركب) إلى ولادة "دوال ثانية" ومؤولات جديدة أكثر اتهاماً (تقصير، خطة غير إنسانية، تسييس، أبعاد دينية)، ما حوّل مشاعر الجمهور تدريجياً من التعاطف الخالص إلى التساؤل والالتهام.

مشكلة الدراسة

على الرغم من الحضور الكثيف لصور كارثة إعصار درنة (سبتمبر 2023) عبر وكالات الأنباء والصحف المحلية، فإن جانباً الدراسات التي تناولت هذه الكارثة إعلامياً، كدراسة الساعدي¹¹ (2025) التي ركزت على أوجه القصور في أداء الإعلام الليبي التقليدي، اهتمت بتقييم أداء المؤسسات الإعلامية أو تتبّع الوظائف النفسية والاجتماعية للإعلام الرقمي لدى الضحايا، دون التوقف عند الصورة الفوتوغرافية نفسها بوصفها نصاً بصرياً مستقلاً يستحق قراءة دلالية متعمقة. وفي المقابل، أثبتت دراسات سابقة تناولت كوارث ومآسٍ أخرى، كدراسة هدى مالك (2016) عن صورة الطفل الغريق إيلان، أن الصورة الواحدة قادرة على حمل دلالات متعددة ومتحوّلة عبر الزمن¹²، وأن تحليلها سيميائياً يكشف عن آليات تشكّل الذاكرة الجمعية حول الحدث. غير أن هذا النوع من التحليل لم يُطبّق بعد على صور كارثة درنة تحديداً، في حدود علم الباحث وما أتاحه المسح الأولي للدراسات المنشورة حتى تاريخه، رغم حجم الخسائر الإنسانية والمادية التي خلفتها في المدينة.

ومن هنا تتبلور فجوة بحثية واضحة بين ما هو متوفر من دراسات حول التغطية الإعلامية للكارثة من جهة، وغياب أي قراءة تحليلية سيميائية للصورة الفوتوغرافية لهذه الكارثة تحديداً من جهة أخرى، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته. وبناء على ذلك تم تحديد مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

ما الدلالات السيميائية الظاهرة والمضمرة التي تحملها الصور الفوتوغرافية لكارثة إعصار درنة، وكيف يمكن أن تسهم هذه الدلالات في بناء تمثيلات جماعية للكارثة داخل الذاكرة الجمعية؟

أهداف الدراسة

- 1- الكشف عن الدلالات الظاهرة (الستوديوم) في عينة صور كارثة إعصار درنة المنشورة عبر وكالات الأنباء والصحف المحلية والدولية.
- 2- استكشاف الدلالات الخفية والمؤثرة (البونكتوم) التي تحملها هذه الصور وتتجاوز مستوى التوثيق المباشر للحدث.
- 3- تحديد الأنماط البصرية المتكررة في عينة الصور (كالقصد، والدمار، والتضامن، والنجاة) ودورها في بناء سردية جماعية مشتركة للكارثة.
- 4- الوقوف على أوجه التباين بين الصور ذات الطابع الرسمي والصور ذات الطابع الميداني المباشر، من حيث زاوية التصوير والتركيز البصري ونوع الرسالة الضمنية.
- 5- الكشف عن الآلية التي تتحول من خلالها صورة واحدة من صور الكارثة إلى علامة أيقونية راسخة في الذاكرة الجمعية.

أهمية البحث

- 1- تُعالج الدراسة فجوة بحثية تتمثل في حدود المسح الأولي للدراسات المنشورة والمتاحة، والتي تتركز في عدد من الدراسات على أداء المؤسسات الإعلامية، دون تحليل الصورة الفوتوغرافية بوصفها نصاً بصرياً مستقلاً.
- 2- تُوسّع الدراسة تطبيق التحليل السيميائي في السياق العربي من خلال تحليل مجموعة من الصور الكارثية وفق مفهومي «الستوديوم» و«البونكتوم» عند رولان بارت¹³.
- 3- تقدم الدراسة نموذجاً يجمع بين التحليل السيميائي وتحليل الأنماط البصرية، يمكن توظيفه في تحليل صور كوارث أخرى في المنطقة العربية.
- 4- تُوفّر خريطة دلالية للأنماط البصرية الأكثر قدرة على التحول إلى أيقونات (الفقد، الدمار، التضامن، النجاة)، مما يساعد المصورين ومحري الصور الليبيين على بناء سردية بصرية أكثر تأثيراً.

5- تكشف عن الآلية التي تتحول بها الصورة من توثيق إلى علامة أيقونية راسخة في الذاكرة الجمعية، مما يُعني النقاش حول دور الصور في معالجة الصدمة الجماعية وبناء السرديات المشتركة.

تساؤلات الدراسة

- 1- ما الدلالات الظاهرة (الستوديوم) الحاضرة في عينة صور كارثة إعصار درنة المنشورة عبر وكالات الأنباء والصحف المحلية ؟
- 2- ما الدلالات الخفية والمؤثرة (البونكتوم) التي تحملها هذه الصور، والتي تتجاوز مستوى التوثيق المباشر للحدث؟
- 3- ما أبرز الأنماط البصرية المتكررة في عينة الصور (كالفقد، والدمار، والتضامن، والنجاة)، وكيف أسهمت في بناء سردية جماعية مشتركة للكارثة؟
- 4- ما أوجه التباين بين الصور ذات الطابع الرسمي والصور ذات الطابع الميداني المباشر، من حيث زاوية التصوير والتركيز البصري ونوع الرسالة الضمنية؟
- 5- ما الآلية التي تتحول من خلالها صورة واحدة من صور الكارثة إلى علامة أيقونية راسخة في الذاكرة الجمعية؟

منهج الدراسة

المنهج السيميائي التحليلي:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج السيميائي التحليلي، وتحديدًا النموذج الذي طوّره رولان بارت في تحليل الصورة الفوتوغرافية¹⁴، و السيميائية هي علم العلامات، وتهدف إلى فك شيفرات النصوص البصرية والكشف عن طبقات المعنى فيها¹⁵، وفي تحليل الصورة الفوتوغرافية يميّز رولان بارت بين مستويين دلاليين رئيسيين، أولهما الستوديوم وهو المستوى الدلالي الظاهر الذي يشير إلى العناصر التي يمكن قراءتها بسهولة من خلال الثقافة العامة مثل مكان الكارثة وعدد الضحايا ومظاهر الدمار وثانيهما البونكتوم وهو المستوى الدلالي الخفي والمؤثر الذي يشير إلى التفاصيل الصغيرة التي "تخترق" المتفرج وتحدث أثراً عاطفياً يتجاوز التوثيق المباشر للحدث، مثل نظرة طفل أو يد متمسكة بجثة أو لعبة مهشمة وسط الركام، وهذان المفهومان يُشكّلان الإطار النظري الأساسي الذي تعتمده هذه الدراسة في تحليل صور كارثة إعصار درنة، وتتطرّ الأدبيات السيميولوجية إلى الصورة الصحفية بوصفها خطاباً بصرياً لا

تقتصر وظيفته على نقل الواقعة أو مرافقة النص الخبري، بل يسهم في إنتاج المعنى وتوجيه تلقي الحدث لدى الجمهور. وفي هذا السياق، يبرز كتاب ساعد ساعد وعبيدة صبطي، الصورة الصحفية: دراسة سيميولوجية¹⁶، بوصفه مرجعاً نظرياً يوضح أن الصورة الصحفية تتكون من علامات وعناصر بصرية يمكن قراءتها وصفيًا وتأويليًا في ضوء سياق النشر والثقافة المشتركة للمتلقي. وتستفيد الدراسة الحالية من هذا الطرح في التعامل مع صور كارثة إعصار درنة باعتبارها نصوصاً بصرية تحمل دلالات ظاهرة وأخرى كامنة، ولا بوصفها مجرد وثائق تسجيلية للكارثة.

نوع الدراسة

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات النوعية التحليلية، وتحديدًا إلى فئة دراسات تحليل المضمون النوعي في مجال الاتصال البصري، وهي دراسات تركز على فهم المعنى بدلاً من قياس التكرار الكمي، حيث تسعى إلى تفسير الكيفيات التي تُنتج بها النصوص البصرية أو النصية دلالاتها، وفي سياق التحليل البصري تعتمد هذه الدراسات على تفكيك الصور إلى عناصرها المكونة من الإطار والزاوية والإضاءة والتكوين والرموز، ثم إعادة تركيبها دلاليًا لفهم كيف تُشكّل السردية الجماعية للحدث، كما تُصنّف هذه الدراسة أيضاً ضمن الدراسات المقارنة النوعية لأنها تقارن بين صور وكالات الأنباء والصحف المحلية من حيث زاوية التصوير والتركيز البصري، وذلك تحقيقاً لهدف الدراسة المتعلق بالوقوف على أوجه التباين بين المصادر المختلفة في تغطيتها البصرية لكارثة إعصار درنة.

أدوات جمع البيانات

قام الباحث بالاستعانة ببطاقة تحليل سيميائي مصممة خصيصاً لأغراض هذه الدراسة، بوصفها الأداة الرئيسة لجمع البيانات وتحليلها، وذلك تماشياً مع طبيعة المنهج السيميائي الكيفي المعتمد. وتضمنت البطاقة تسجيل البيانات الأولية لكل صورة (المصدر، تاريخ النشر، جهة النشر)، إلى جانب رصد المستوى التقريري/الوصفي للعناصر الظاهرة فيها (الستوديوم). كما خُصص محور مستقل لتحديد التفصيل أو العنصر الأكثر تأثيراً في كل صورة وتحليل دلالاته الرمزية العميقة (البونكتوم). وخُتمت البطاقة بمحور يربط بين هذه العناصر ومفهوم الذاكرة الجمعية، لرصد نوع السردية التي تُرسّخها الصورة (فقد، تضامن، نجاة). وقد طُبِّقت هذه البطاقة على عينة الدراسة المكوّنة من اثنتي عشرة صورة بشكل منهجي موحد لضمان اتساق التحليل.

العينة الزمانية

اختار الباحث الفترة الممتدة من سبتمبر 2023 إلى سبتمبر 2024 لأنها تغطي دورة زمنية كاملة تبدأ من لحظة وقوع الحدث الصادم وتنتهي عند أول استدعاء رمزي جماعي له (الذكرى السنوية الأولى)، وهي الدورة التي يشترطها مفهوم "الذاكرة الجمعية" عند هاليفاكس نفسه، وقد تم تقسيم الفترة إلى ثلاث مراحل دالة:

- مرحلة لحظة الحدث: سبتمبر 2023 (فترة الذروة الإخبارية والصور الأولى الصادمة).
- مرحلة ما بعد الحدث المباشر: أكتوبر - ديسمبر 2023 (صور المتابعة وجهود الإغاثة وإعادة الإعمار).
- مرحلة تذكّر الذكرى: حول الذكرى السنوية الأولى (سبتمبر 2024)، وهي مرحلة إعادة استدعاء الصورة وتوظيفها في سياق الذاكرة الجمعية.

العينة المكانية

اقتصرت الدراسة على المصادر المحلية الليبية فقط، ممثلة في وكالة الأنباء الليبية، وقناة ليبيا الأحرار والهلال الأحمر الليبي، بما يتيح رصد أوجه التباين بين الصور ذات الطابع الرسمي والخاص والصور ذات الطابع الميداني المباشر لكارثة إعصار درنة، ويمكن تلخيص المصادر التي تمت دراستها كالتالي:

- 1- وكالة الأنباء الليبية — مصدر رسمي حكومي.
- 2- قناة ليبيا الأحرار — مصدر إعلامي خاص.
- 3- الهلال الأحمر الليبي — مصدر ميداني إنساني.

جاء اختيار الباحث لهذه المصادر لأنها تُعدّ من أبرز المصادر الإعلامية المحلية التي غطّت الحدث قيد الدراسة في تلك الفترة، وهي تمثّل قنوات ومواقع إعلامية للدولة ومؤسسات مجتمعية ذات صفة إنسانية معترف بها رسمياً، ما يمنحها موثوقية وتنوعاً في طبيعة الخطاب البصري الذي تنتجه. فوكالة الأنباء الليبية تمثّل الصوت الرسمي للدولة في نقل الحدث، بينما تمثّل قناة ليبيا الأحرار نموذجاً للإعلام الخاص المستقل الذي نشأ بعد ثورة فبراير 2011 وواكب الأزمات الوطنية اللاحقة بخطاب أقل رسمية وأقرب إلى الشارع، في حين يمثّل الهلال الأحمر الليبي مصدراً ميدانياً إنسانياً مباشراً تُلْتَقَطُ صورته في

قلب الحدث أثناء عمليات الإنقاذ والإغاثة. وبذلك، يحقق هذا التنوع في طبيعة المصادر تغطية أكثر شمولاً لأنماط الخطاب البصري المختلفة التي رافقت كارثة إعصار درنة¹⁷.

مجتمع وعينة الدراسة

أولاً: مجتمع الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع الصور الفوتوغرافية المتعلقة بكارثة إعصار درنة (سبتمبر 2023) التي نشرتها المصادر الإعلامية المحلية الليبية الثلاثة محل الدراسة (وكالة الأنباء الليبية، قناة ليبيا الأحرار الهلال الأحمر الليبي)، عبر مواقعها الإلكترونية الرسمية وحساباتها على منصات التواصل الاجتماعي خلال الفترة الزمنية الممتدة من سبتمبر 2023 إلى سبتمبر 2024، ونظراً لضخامة هذا المجتمع وتعذر حصره الكامل فقد قام الباحث باختيار عينة ممثلة له.

ثانياً: عينة الدراسة

اعتمد الباحث أسلوب العينة القصدية، وهو الأسلوب الأنسب منهجياً للدراسات الكيفية السيميائية التي تسعى إلى العمق والتمثيل الدلالي. وتكونت العينة من تسعة صور، وُرعت وفق معيارين متقاطعين حرصاً على التمثيل المتوازن:

1- التوزيع الزمني : ثلاثة صور من كل مرحلة من مراحل الدراسة الثلاث (لحظة الحدث - سبتمبر 2023؛ ما بعد الحدث المباشر - أكتوبر/ديسمبر 2023؛ الذكرى السنوية الأولى - سبتمبر 2024).

2- التوزيع المصدري: ثلاثة صور من كل مصدر من المصادر الثلاثة (وكالة الأنباء الليبية، ليبيا الأحرار، الهلال الأحمر الليبي).

التعريفات الإجرائية للدراسة

1- الفوتوغرافيا:

الفوتوغرافيا هي كل صورة ثابتة ملتقطة بالكاميرا (لا رسماً أو تصميمياً رقمياً)، منشورة عبر أحد المصادر الإعلامية المحلية الثلاثة المعتمدة في عينة الدراسة، وتوثق مشهداً أو حدثاً مرتبطاً بكارثة إعصار درنة سواء كانت ملتقطة أثناء وقوع الحدث مباشرة أم في مراحله اللاحقة.

2- الذاكرة الجمعية:

الذاكرة الجمعية هي العملية التي يُعاد من خلالها بناء تذكّر المجتمع الليبي لكارثة إعصار درنة بشكل جماعي مشترك، عبر وسيط بصري (الصورة الفوتوغرافية)، بحيث تتجاوز هذه الصور وظيفتها التوثيقية الآنية لتتحول إلى مرجعية رمزية يستعيد بها الجمهور ويُعيد تداولها، خصوصاً في مناسبات استذكارية كالذكرى السنوية للحدث.

3- الأزمة:

الأزمة هي كارثة إعصار درنة الطبيعية التي وقعت في ليبيا في سبتمبر 2023، بوصفها حدثاً استثنائياً مفاجئاً تسبّب في خسائر بشرية ومادية جسيمة، وأحدث حالة من الصدمة الجماعية استدعت تغطية إعلامية وبصرية مكثفة.

الإطار النظري

أولاً: نظرية الذاكرة الجمعية عند موريس هاليفاكس

يُعدّ عالم الاجتماع الفرنسي موريس هاليفاكس المؤسس الأول لمفهوم "الذاكرة الجمعية"، إذ قدّم أطروحة مغايرة تماماً للتصور السائد الذي يرى الذاكرة عملية فردية بحتة تجري داخل الدماغ بمعزل عن المحيط الاجتماعي. يرى هاليفاكس أن الفرد لا يتذكر إلا من خلال الأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها (الأسرة، الدين، الطبقة الاجتماعية، الأمة)، وأن هذه الأطر هي التي تمنح الذكريات الفردية معناها وتماسكها، بل إن الفرد يعيد بناء ذكرياته باستمرار في ضوء المعايير والقيم التي تفرضها الجماعة في اللحظة الراهنة، لا كما وقعت الأحداث فعلياً في الماضي¹⁸. بعبارة أخرى الذاكرة الجمعية ليست مجرد مجموع الذكريات الفردية لأفراد الجماعة، بل هي بناء اجتماعي متجدد، يُعاد إنتاجه وتشكيله كلما استدعته الجماعة لخدمة حاجاتها الراهنة في فهم هويتها واستمراريتها.

تكتسب هذه النظرية أهمية خاصة عند تطبيقها على الكوارث الكبرى، إذ إن الحدث الصادم (ككارثة إعصار درنة) لا يبقى حكراً على ذاكرة من عاشوه مباشرة، بل يتحول عبر وسائط النقل الاجتماعي والإعلامي (وعلى رأسها الصورة الفوتوغرافية) إلى ذاكرة مشتركة يتقاسمها مجتمع بأكمله، بمن فيهم من لم يعاصر الحدث مباشرة. وهذا ما يجعل دراسة الوسيط الناقل لهذه الذاكرة (الصورة) أمراً جوهرياً، إذ إن الصورة لا تنقل الحدث بحياد، بل تُسهم في تحديد "ما يجب تذكّره" و"كيف يجب أن يُتذكّر".

ثانياً: المقاربة السيميائية عند رولان بارت — الستوديوم والبونكتوم

إذا كانت نظرية هالبفاكس تفسّر "لماذا" تتشكّل الذاكرة الجمعية اجتماعياً، فإن المقاربة السيميائية لرولان بارت تقدّم الأداة التحليلية الدقيقة لفهم "كيف" تُنتج الصورة الفوتوغرافية تحديداً هذا التشكّل تقوم السيميائية أساساً على اعتبار كل نص (بما فيه الصورة) نظاماً من العلامات القابلة للتفكيك وإعادة التركيب الدلالي، بهدف الكشف عن طبقات المعنى الظاهرة والكامنة فيه¹⁹.

وفي كتابه *الغرفة المضيفة*، يميّز بارت بين مستويين أساسيين لقراءة الصورة الفوتوغرافية:

- **الستوديوم (Studium):** وهو المستوى الأول، الظاهر والمشارك ثقافياً، الذي يتيح للمتلقّي "فهم" الصورة بمعناها العام المتعارف عليه اجتماعياً، أي التعرف على موضوعها وسياقها ودلالاتها الإخبارية أو التوثيقية المباشرة (كأن يفهم المتلقّي أن الصورة تُظهر مكان كارثة، وحجم دمار، وعدد ضحايا).
- **البونكتوم (Punctum):** وهو المستوى الثاني، وهو تفصيل جزئي داخل الصورة "يخترق" المشاهد بشكل غير متوقع وغير قابل للتفسير الكامل بالمنطق الثقافي العام، فيحدث أثراً عاطفياً حاداً وشخصياً يتجاوز الوظيفة التوثيقية للصورة²⁰. وهذا هو ما يمنح الصورة الواحدة قدرتها على "اختراق" ذاكرة المشاهد والبقاء فيها، بخلاف صور أخرى توثّق نفس الحدث لكنها تبقى حبيسة مستوى الستوديوم فقط دون أن ترسخ في الذاكرة.

ثالثاً: فهم الصورة كأداة لبناء الذاكرة الجمعية

يلتقي الإطاران النظريان (الاجتماعي عند هالبفاكس، والسيميائي عند بارت) في نقطة جوهرية واحدة: كلاهما يرفض اعتبار "التوثيق" فعلاً محايداً. فكما أن الذاكرة عند هالبفاكس إعادة بناء اجتماعي لا نسخ حرفي للماضي، فإن الصورة عند بارت ليست نسخة بصرية محايدة للواقع، بل بناء دلالي يحمل معه اختيارات (زاوية التصوير، اللحظة الملتقطة، التفاصيل الحاضرة والغائبة) تُوجّه إدراك المتلقّي وتُشكّل ما سيبقى راسخاً في ذاكرته الجمعية عن الحدث. وعليه، فإن تحليل صور كارثة إعصار درنة وفق هذين المستويين (الستوديوم والبونكتوم) لا يهدف فقط إلى وصف محتواها البصري، بل إلى الكشف عن الكيفية التي تُسهم بها هذه الصور في صياغة "ما سيتذكره" المجتمع الليبي عن هذه الكارثة، وأي تفاصيل منها ستتحول إلى علامات أيقونية راسخة تتجاوز لحظة وقوع الحدث نفسه.

تحليل عينة الدراسة

اعتمد الباحث علي بطاقة التحليل السيميائي لعينة الدراسة المكوّنة من تسعة صور، حيث قام الباحث بتحليل كل صورة وفق أربعة محاور ثابتة: البيانات الأولية للصورة، ثم المستوى الوصفي الظاهر (الستوديوم)، يليه المستوى التأويلي العميق (البونكتوم)، وصولاً إلى الدلالة الجمعية التي تربط عناصر الصورة بمفهوم الذاكرة الجمعية. وقد روعي في اختيار هذه المحاور أن تُشكّل مساراً تحليلياً متدرجاً من الوصف الظاهر إلى التأويل العميق، بما يتيح الانتقال المنهجي من "ما تُظهره الصورة" إلى "ما تعنيه وترسّخه" في وعي المتلقي الجماعي.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (1) (انظر ملحق رقم 1)

المحور	المضمون
المصدر	الهلال الأحمر الليبي
المرحلة الزمنية	لحظة الحدث (سبتمبر 2023)
الوصف العام (الستوديوم)	خمسة رجال إنقاذ يرتدون سترات حمراء موحدة تحمل شعار الهلال الأحمر وبناطيل داكنة، يقفون وسط طريق مغمور بالكامل بمياه طينية اللون تصل إلى مستوى الخصر تقريباً، بينما ينزل أحدهم (يرتدي قبعة سوداء) إلى مستوى أعمق من الماء، ممسكاً بعصا خشبية طويلة يستخدمها كأداة سبر لقياس عمق المياه أو تحسّس ما تحتها، فيما يساعده اثنان من زملائه بالإمساك بذراعيه. تحيط بالمشهد تلال خضراء وطريق فارغ إلا من مركبة حمراء بعيدة، والأجواء ممطرة رمادية.
العنصر الدال (البونكتوم)	وجه الرجل المنغمس في الماء حتى ذقنه تقريباً، ونظرته المتجهة مباشرة نحو الكاميرا/المشاهد وسط جهد بدني واضح — هذه اللقطة تحديداً تحوّل المشهد من "عملية إنقاذ روتينية" إلى مواجهة بصرية مباشرة بين المتلقي وخطر غرق أحد المنقذين أنفسهم، فينقل إحساساً مضاعفاً بالخطر (لا الضحايا وحدهم مهددون، بل منقذوهم أيضاً).
الدلالة الجمعية	ترسّخ هذه الصورة سردية "التضحية والمخاطرة الإنسانية" في الذاكرة الجمعية، إذ تُظهر أن عمل الإنقاذ نفسه كان محفوفاً بمخاطر جسيمة، وهو بُعد إنساني يضيف طبقة تعاطف إضافية تتجاوز التعاطف مع الضحايا المباشرين إلى التعاطف مع المنقذين الذين خاطروا بأنفسهم.

ترسّخ هذه الصورة في الذاكرة الجمعية سردية "الفقد الإنساني المباشر" بوصفها الوجه الأكثر إيلاماً للكارثة، إذ تنقل الحدث من مجرد خسارة مادية إلى مواجهة فعلية مع الموت. وبفعل حضور رجال الإنقاذ في المشهد، تتقاطع هذه السردية مع بُعد آخر مكمل هو "التضامن الإنساني"، فيتذكّر الجمهور الكارثة عبر ثنائية الفقد والتكاتف معاً لا الفقد وحده. هذا التزامن بين الألم والفعل الإنساني يجعل من هذا النمط من الصور مرشحاً قوياً للتحوّل إلى ذاكرة بصرية رمزية تتجاوز توثيق اللحظة إلى تخليد قيمة إنسانية جماعية.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (2) (انظر ملحق رقم 2)

المحور	المضمون
المصدر	وكالة الأنباء الليبية (LANA)
المرحلة الزمنية	لحظة الحدث (سبتمبر 2023)
الوصف العام (الستوديوم)	أربعة رجال يسرون وسط طريق مغمور بمياه طينية ضحلة اللون بني-برتقالي محاطين بأكوام من الحطام والأغصان المتناثرة على جانبي الطريق. يحمل اثنان منهم في المنتصف جسماً ملفوفاً بغطاء أبيض/فاتح اللون (يبدو جثماناً)، بينما يرتدي الرجال ملابس مدنية داكنة عادية (لا أزياء إنقاذ رسمية)، ويظهر رجل خامس في أقصى اليمين يراقب المشهد. الخلفية عبارة عن تلال مغطاة بالحطام الأبيض/الرمادي، والإضاءة رمادية باهتة توحى بأجواء ممطرة أو غائمة.
العنصر الدال (البونكتوم)	ون حاملتي الجثمان شخصاً مدنيين عاديين (لا فرق إنقاذ رسمية بأزياء مميزة كما في الصورة الأولى) — هذا التفصيل يحوّل الصورة من "عمل مؤسسي منظم" إلى "تضامن أهلي عفوي"، إذ يبدو أن السكان أنفسهم قد تولّوا مهمة انتشال ضحاياهم قبل وصول فرق الإنقاذ الرسمية أو بالتوازي معها.
الدلالة الجمعية	ترسّخ هذه الصورة سردية "التكافل الأهلي المباشر" في مواجهة الكارثة، بوصفها طبقة إضافية من الاستجابة الإنسانية تسبق أو توازي الاستجابة المؤسسية الرسمية، وهي سردية مختلفة عن سردية "البطولة المؤسسية" التي حملتها الصورة الأولى (الهلال الأحمر).

يبرز التباين بين هذه الصورة والصورة الأولى بعداً مهماً في الذاكرة الجمعية لكارثة درنة: فبينما جسدت صورة الهلال الأحمر "الاستجابة المؤسسية المنظمة"، تجسّد هذه الصورة "الاستجابة الأهلية التلقائية" التي غالباً ما تسبق وصول المؤسسات الرسمية في الكوارث المفاجئة. هذا التزامن بين النمطين (المؤسسي

والأهلي) في ذاكرة نفس الحدث يعكس واقعاً موثقاً في أغلب الكوارث الكبرى، ويثري تحليل الأنماط البصرية المتكررة الذي يخدم الهدف الثالث من أهداف الدراسة. كما أن غياب الزي الرسمي هنا يمنح الصورة طابعاً أكثر "إنسانية خام" وأقل "احترافية بصرية" مقارنة بصورة الهلال الأحمر، وهو تباين جمالي/دلالي يستحق الإشارة إليه لاحقاً في الخلاصة الجامعة.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (3) (انظر ملحق رقم 3)

المحور	المضمون
المصدر	ليبيا الأحرار
المرحلة الزمنية	لحظة الحدث (سبتمبر 2023)
الوصف العام (الستوديوم)	منظر جوي منخفض لمصب الوادي عند التقائه بالبحر في درنة، يُظهر جسراً منقطعاً في المقدمة (بحاجز معدني أصفر/أسود متدلٍ وأسلاك متناثرة)، ومبنى سكنياً شاهقاً متضرراً بشدة على اليسار (نوافذ محطمة وشرفات متهدمة)، ومبانٍ أخرى على الضفة اليمنى أقل تضرراً نسبياً، بينما تجتاح مياه بنية-برتقالية داكنة كامل مجرى الوادي الواسع بينهما. يقف رجلان (يبدو عليهما زي عسكري أو أمني) عند حافة الجسر المنقطع، وسماء صافية زرقاء تتخللها غيوم بيضاء في الأعلى.
العنصر الدال (البونكتوم)	الرجلان الواقفان عند حافة الجسر المقطوع تحديداً — يبدوان في وضعية تأمل أو مراقبة لحجم الفجوة التي تفصلهما عن الضفة الأخرى، فيتحوّل الجسر المنكسر من "بنية تحتية متضررة" إلى رمز بصري لـ"استحالة العبور" و"الانفصال القسري" الذي عاشه سكان درنة عن بعضهم خلال الكارثة.
الدلالة الجمعية	ترسخ هذه الصورة سردية "الانقطاع والعزلة القسرية" في الذاكرة الجمعية، إذ يتجاوز الجسر المكسور كونه تفصيلاً هندسياً ليصبح استعارة بصرية لتمزق النسيج الاجتماعي والمكاني للمدينة في لحظة الكارثة.

تتقاطع هذه الصورة مع الصورة الثانية (وكالة الأنباء الليبية) في حمل معنى "الانقطاع"، لكنها تنقله من المستوى الإنساني المباشر (فقد بشري) إلى المستوى البنيوي الرمزي (انقطاع الجسر كرمز لانقطاع التواصل). وقوف الرجلين عند حافة الهاوية يضيف بُعداً إنسانياً هادئاً مقابل حجم الكارثة الهندسي الضخم، فيُحدث توازناً بصرياً بين "الفرد" و"الحدث الكبير" يخدم الهدف الثاني (البونكتوم) بوضوح شديد.

بذلك تكتمل المرحلة الأولى (لحظة الحدث) بثلاث سرديات متكاملة: التضحية المؤسسية (1)، التكافل الأهلي (2)، والانقطاع البنيوي الرمزي (3).

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (4) (انظر ملحق رقم 4)

المحور	المضمون
المصدر	الهلال الأحمر الليبي
المرحلة الزمنية	ما بعد الحدث المباشر (أكتوبر - ديسمبر 2023)
الوصف العام (الستوديو)	رجل إنقاذ يرتدي زياً رسمياً داكناً بأشرطة عاكسة (يحمل شعاراً على الكتف)، جالس منفرداً على قطعة خشبية وسط ركام ونخيل متضرر، وقد خلع خوذه وحذاءه (الموضوعين بجانبه على الأرض مع زجاجة مياه)، ويخفي وجهه بيده اليمنى في وضعية إنهاك أو انفعال واضح. تظهر في الخلفية مجموعة من رجال الإنقاذ الآخرين يقفون متجمعين، ومبانٍ متضررة جزئياً، وأكوام كبيرة من جذوع النخيل والحطام المتناثر على جانبي المشهد.
العنصر الدال (البونكتوم)	يد الرجل المغطية لوجهه — هذا التفصيل الجسدي البسيط يحول الصورة كلياً من "توثيق مشهد عمل ميداني" إلى "كشف اللحظة الإنسانية الخاصة" التي عادة ما تُخفي خلف الزي الرسمي والمهنية الظاهرة؛ فهو يكشف الكلفة النفسية الصامتة التي يتحملها المنقذون أنفسهم بعد أسابيع من العمل المتواصل وسط الكارثة.
الدلالة الجمعية	ترسخ هذه الصورة في الذاكرة الجمعية بُعداً إنسانياً نادراً ما يُلتقط: "إنهاك المنقذين أنفسهم" بعد انتهاء ذروة الاستجابة العاجلة، بما يوسع مفهوم "ضحايا الكارثة" ليشمل من كرسوا أنفسهم لإنقاذ الآخرين، لا الضحايا المباشرين وحدهم.

تمثل هذه الصورة انتقالاً دلاليّاً حاداً عن صورة الهلال الأحمر الأولى (البطاقة رقم 1) التي أظهرت المنقذين في لحظة الفعل النشط؛ فهنا يظهر أحدهم في لحظة انهيار صامت بعد أن هُدا إيقاع العمل العاجل، ما يعكس التحول الزمني من "الاستجابة" إلى "استيعاب الأثر النفسي" لما شهدوه. هذا التباين بين الصورتين (لحظة الحدث/ما بعد الحدث لنفس المصدر) يوفّر مادة تحليلية غنية جداً لرصد كيف يتغيّر الخطاب البصري لنفس الجهة عبر الزمن، ويخدم مباشرة الهدف الخامس المتعلق بتحوّل دلالة الصورة عبر مراحل الذاكرة الجمعية المختلفة.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (5) (انظر ملحق رقم 5)

المحور	المضمون
المصدر	وكالة الأنباء الليبية (LANA)
المرحلة الزمنية	ما بعد الحدث المباشر (أكتوبر - ديسمبر 2023)
الوصف العام (الستوديوم)	رجل مسنّ حافي القدمين، يرتدي قميصاً كاروهات وينطالاً بيج مطوي الأطراف، جالس منفرداً على حافة سيارة محطمة، ممسكاً بعصا خشبية، ناظراً بثبات نحو الأفق البعيد بعيداً عن الكاميرا. يحيط به ركام كثيف (أثاث محطم، ألواح خشبية، مركبات مهشمة) على جانبيه، وأشجار خضراء كثيفة سليمة نسبياً خلفه مباشرة، بينما يظهر في الخلفية البعيدة شخصان يسيران وسط الطين ومبنى سكني سليم نسبياً. الإضاءة نهائية واضحة ومشمسة.
العنصر الدال (البونكتوم)	نظرة الرجل الشاردة إلى الأفق، بعيداً عن عدسة المصور تماماً، مع وضعية جلوسه الهادئة شبه الاستسلامية وسط الفوضى المحيطة به — هذا التقصيل يحوّل الصورة من "توثيق لمشهد ركام" إلى "بورترية إنساني للفقد الصامت"، إذ يبدو الرجل وكأنه يتأمل حياة سابقة اختفت أمامه، لا يبحث عن شيء ولا يعمل على شيء، بل يجلس فقط وسط ما تبقى.
الدلالة الجمعية	ترسخ هذه الصورة سردية "الحداد الصامت الفردي" في الذاكرة الجمعية، بوصفها مقابلاً إنسانياً هادئاً لصور الدمار الجماعي الواسع؛ فهي تختزل مأساة مدينة كاملة في مشهد رجل واحد جالس بلا حركة، ما يمنحها قوة عاطفية مكثفة تفوق أثر الصور البانورامية الواسعة.

تشكّل هذه الصورة تبايناً لافتاً مع صورة الهلال الأحمر السابقة (البطاقة 4) التي أظهرت انهياراً جسدياً حاداً ومباشراً (اليدين على الوجه)، هنا يظهر حداد أكثر هدوءاً واستكانة، أقرب لحالة "التصالح الصامت مع الفقد" منه إلى الانهيار اللحظي. هذا التنوع في تمثيل الأثر النفسي لمرحلة "ما بعد الحدث" بين مصدرين مختلفين يثري تحليل الأنماط البصرية المتكررة (الهدف الثالث)، ويُظهر أن الذاكرة الجمعية لهذه المرحلة لا تقتصر على نمط انفعالي واحد. كما أن حفاء قدمي الرجل وملابسه المنزلية العادية (لا زي رسمي) يعززان طابع "الإنسان العادي" المتروك وسط أنقاض حياته، بخلاف الطابع المؤسسي لصور المنقذين.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (6) (انظر ملحق رقم 6)

المحور	المضمون
المصدر	ليبيا الأحرار
المرحلة الزمنية	ما بعد الحدث المباشر (أكتوبر - ديسمبر 2023)
الوصف العام (الستوديوم)	رجلان يقفان بظهورهما للكاميرا على مرتفع، أحدهما واضع يديه على خصره والآخر مكثف يديه خلف ظهره، يطلآن معاً على مشهد بانورامي واسع لمدينة درنة الممتدة أمامهما، حيث تظهر مبانٍ متفاوتة الحال (بعضها سليم في الأطراف، وكتلة ضخمة من الركام والمباني المنهارة في المنتصف والأفق)، والبحر يظهر كخط أزرق في أقصى اليسار، وأشخاص صغار متفرقون يتحركون بين الركام في العمق، تحت سماء صافية زرقاء تماماً بلا غيوم.
العنصر الدال (البونكتوم)	وضعية الرجلين المتجاورة والصامتة — يد أحدهما على خصره (إيماءة تعبّر عادة عن التأمل المتعب أو الحيرة)، ويذا الآخر خلف ظهره (إيماءة أقرب للتأمل الرسمي أو المراقبة) — تكرار مشهد "المتأملين من الخلف" (كما في البطاقتين 2 و3 سابقاً) يرسخ هذا كنمط بصري متكرر عبر مراحل زمنية مختلفة، لكنه هنا يحمل دلالة إضافية: النظر إلى مدى الدمار بعد أسابيع من الحدث، حين لم يعد المشهد "صامداً أنياً" بل "واقعاً مستقراً يصعب استيعاب حجمه حتى بعد مرور وقت".
الدلالة الجمعية	ترسخ هذه الصورة سردية "استمرار الذهول" حتى بعد مرور المرحلة الحادة من الصدمة، إذ يوحي المشهد بأن حجم الكارثة لا يزال يفوق قدرة الأفراد على الاستيعاب الكامل حتى بعد أسابيع، وهو ما يمهد لفهم كيف تتحول هذه اللحظات إلى ذاكرة جماعية راسخة لا تتلاشى بسرعة.

يتكرر هنا نمط "المشاهدة من الخلف" الذي ظهر سابقاً في صورة وكالة الأنباء الليبية (البطاقة 2) للمرحلة الأولى، ما يشير إلى أن هذا النمط البصري (تصوير الأشخاص من خلفهم وهم يواجهون الدمار) قد يكون نمطاً بصرياً متكرراً عابراً للمصادر والمراحل الزمنية معاً في توثيق كارثة درنة — وهي ملاحظة تحليلية غنية جداً تخدم الهدف الثالث (الأنماط البصرية المتكررة) بشكل مباشر. اتساع اللقطة البانورامية هنا (مقارنة بصورتي الهلال الأحمر ووكالة الأنباء الأكثر تركيزاً على أفراد بعينهم) يعيد التذكير أيضاً بأن "ليبيا الأحرار" يميل غالباً لانتقاط "الحجم الكلي" للكارثة أكثر من التفاصيل الفردية، وهو نمط لاحظناه سابقاً في تحليلات سابقة لنفس المصدر.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (7) (انظر ملحق رقم 7)

المحور	المضمون
المصدر	الهلال الأحمر
المرحلة الزمنية	الذكرى السنوية الأولى (2024)
الوصف العام (الستوديوم)	منظر جوي مرتفع لمدينة درنة عند غروب/شروق الشمس (إضاءة ذهبية دافئة)، يتصدر المشهد مسجد أبيض بقبة ذهبية اللون ومئذنتين شاهقتين، سليم تماماً ومحاط بأشجار نخيل خضراء وممرات مقنطرة بيضاء. خلف المسجد وحوله تمتد المدينة، حيث تظهر مبانٍ سكنية سليمة نسبياً في المقدمة القريبة من المسجد، بينما تظهر في الخلفية البعيدة مساحات شاسعة من الأرض الجرداء الفارغة من المباني (أثر الوادي)، وأبراج سكنية متضررة الطوابق العليا، والبحر يمتد كخط أزرق عند الأفق.
العنصر الدال (البونكتوم)	التجاور الحاد بين قبة المسجد الذهبية السليمة تماماً في المقدمة، والمساحة الفارغة الشاسعة خلفها مباشرة — هذا التناقض البصري (رمز ديني/روحي قائم وسط أثر مادي ممحو) يخلق دلالة عميقة: المكان المقدس نجا بينما مُحيت الأحياء السكنية من حوله بالكامل، فيتحوّل المسجد إلى "شاهد صامد" على غياب ما كان يحيط به من حياة يومية.
الدلالة الجمعية	ترسخ هذه الصورة، بعد عام كامل، سردية "الصمود الروحي مقابل الفراغ المادي" في الذاكرة الجمعية — إذ يبقى المسجد (رمز الهوية والانتماء الجماعي) قائماً كنقطة ارتكاز بصرية وسط فراغ يذكّر بحجم ما فقد، وهذا يخدم مباشرة فكرة "العلامة الأيقونية الراسخة" (الهدف الخامس)، إذ يُرجّح أن تتكرر هذه الصورة تحديداً كرمز بصري قياسي لدرنة "بعد الكارثة" في التغطيات الاستذكارية اللاحقة.

خلافًا لصور "ما بعد الحدث" التي أظهرت إما انهياراً نفسياً فردياً (البطاقة 4) أو حداداً صامتاً (البطاقة 5)، تنتقل هذه الصورة بعد عام كامل إلى مستوى رمزي جماعي أكثر تجريداً: لم يعد التركيز على فرد بعينه، بل على معلّم يمثّل الهوية الجماعية للمدينة نفسها. بقاء المسجد سليماً وسط الدمار المحيط يحمل دلالة قد تُقرأ جماعياً كعلامة أمل أو صمود روحي، بينما يبقى الفراغ الشاسع خلفه تذكيراً بصرياً دائماً بحجم الخسارة، فتجتمع في لقطة واحدة ثنائية "الأمل والفقد" التي تُعدّ جوهر الذاكرة الجمعية للكوارث الكبرى.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (8) (انظر ملحق رقم 8)

المحور	المضمون
المصدر	وكالة الأنباء الليبية (LANA)
المرحلة الزمنية	الذكرى السنوية الأولى (2024)
الوصف العام (الستوديوم)	منظر جوي علوي لمصب الوادي عند التقائه بالبحر في درنة، يُظهر جسراً معدنياً مقوّساً سليماً تماماً تعبره السيارات بحركة مرور طبيعية، ومدينة عامرة بمبانٍ بيضاء نظيفة تمتد خلفه، ومياه الوادي هادئة وصافية الزرقة تقترب من لون مياه البحر المجاور لها تماماً، مع طريق ممهّد وممشى حديث حديث الإنشاء يمتد نحو مصب المياه، وتلال صحراوية جرداء في الخلفية البعيدة تحت سماء صافية.
العنصر الدال (البونكتوم)	زوال الفارق اللوني بين مياه الوادي ومياه البحر — ففي صور لحظة الحدث وما بعده (البطاقات 1-6)، كانت مياه الوادي دائماً بنية-برتقالية عكرة تتباين بحدة مع زرقة البحر؛ أما هنا فقد أصبح لون المياه موحداً صافياً، وهذا التفصيل اللوني تحديداً هو أبلغ مؤشر بصري ممكن على "عودة الأمور إلى طبيعتها" بعد عام كامل.
الدلالة الجمعية	ترسّخ هذه الصورة سردية "التعافي والعودة إلى الحياة الطبيعية" في الذاكرة الجمعية الرسمية، إذ يُستبدل الجسر المنهار (البطاقة رقم 2 سابقاً في المحاولة الأولى) بجسر سليم تعبره الحياة اليومية، بما يخدم خطاباً مؤسسياً رسمياً يبرز إنجاز إعادة الإعمار أكثر من توثيق الأثر الباقي.

تمثّل هذه الصورة أوضح تجسيد حتى الآن لتباين الخطاب بين المصادر الثلاثة: فبينما اختار الهلال الأحمر (البطاقة 7) إبراز ثنائية "الصمود الروحي وسط الفراغ"، تختار وكالة الأنباء الرسمية هنا إبراز "الإنجاز والتعافي الكامل" بلا أي أثر ظاهر للكارثة تقريباً. هذا التباين الحاد بين مصدر رسمي حكومي (يميل لخطاب الإنجاز) ومصدر ميداني إنساني (يميل لخطاب التذكير بالفقد) يُعدّ أهم دليل بصري ملموس حتى الآن على الهدف الرابع من أهداف الدراسة (التباين بين الطابع الرسمي والطابع الميداني). كما أن وجود شعار الوكالة ورابط موقعها داخل الصورة نفسها (توقيع مؤسسي ظاهر) يعزّز الطابع الرسمي/الدعائي لهذا النوع من الصور مقارنة بصور المصادر الأخرى.

بطاقة التحليل السيميائي — الصورة رقم (9) (انظر ملحق رقم 9)

المحور	المضمون
المصدر	ليبيا الأحرار
المرحلة الزمنية	الذكرى السنوية الأولى (2024)
الوصف العام (الستوديوم)	لقطة أرضية لمسجد الصحابة بقبته الذهبية ومئذنتيه البيضاءويتبين الشاهقتين، يظهر المسجد سليماً تماماً في الخلفية وسط تلال جرداء ومبانٍ سكنية متفاوتة الحال، بينما تتصدر المقدمة كتلة من الركام والأنقاض (جدران متهدمة، أخشاب متناثرة) لمبنى مجاور مدّمّر بالكامل تقريباً. يقف عدة أشخاص على حافة هذا الركام قرب المسجد، من بينهم من يرتدي زيّاً عسكرياً أو أمنياً، في وضعيات متفرقة (بعضهم واقف، بعضهم يشير بيده).
العنصر الدال (البونكتوم)	التجاور المباشر جداً بين قمة المسجد الذهبية الشامخة والركام الخام في المقدمة — على عكس البطاقة رقم (7) التي التقطت هذا التباين من مسافة جوية بعيدة تخفف من حدته، تضع هذه اللقطة الأرضية المتلقي وجهاً لوجه مباشراً مع الركام قبل أن ترتفع عيناه نحو المسجد الصامد، فتُبقي أثر الكارثة "خاماً" وحاضراً حتى في لحظة الاستذكار السنوي، لا مجرد خلفية بعيدة.
الدلالة الجمعية	ترسّخ هذه الصورة سردية "الصمود وسط الجرح المفتوح" لا "الصمود وسط الشفاء" كما أوحى الصورة الجوية البعيدة (البطاقة 7)؛ فبقاء الركام قريباً جداً من المسجد وبنفس الكثافة تقريباً بعد عام كامل يوحي بأن التعافي المادي للمدينة أبطأ بكثير من الخطاب الرسمي (البطاقة 8)، بينما يبقى الرمز الديني/الروحي وحده هو الثابت الذي لم يتغيّر.

تشكّل هذه الصورة، إلى جانب البطاقتين (7) و(8)، ثلاثية بصرية مكتملة لمرحلة الذكرى السنوية تكشف عن ثلاثة خطابات متميزة تماماً لنفس اللحظة الزمنية: خطاب "الصمود الروحي من بعيد" (الهلال الأحمر)، وخطاب "الإنجاز والتعافي الكامل" (وكالة الأنباء الليبية)، وخطاب "الجرح لا يزال مفتوحاً عن قرب" (ليبيا الأحرار). هذا التباين الثلاثي في تأطير نفس اللحظة الزمنية عند الذكرى السنوية يُعدّ من أهم نتائج التحليل التطبيقي بأكمله، إذ يُظهر أن "الذاكرة الجمعية الرسمية" لا تخلو من تصدّعات وتعدد رؤى بحسب الجهة الناطقة بها، وهو ما يخدم مباشرة الهدف الرابع (الفروق بين الطابع الرسمي والميداني) والهدف الخامس (آلية تحوّل الصورة لعلامة أيقونية) معاً.

مصفوفة السردية الجمعية المهيمنة بحسب المصدر والمرحلة الزمنية

المصدر	لحظة الحدث 2023 سبتمبر	مابعد الحدث أكتوبر - ديسمبر 2023	الذكرى السنوية سبتمبر 2024
الهلل الأحمر الليبي (ميداني - أنساني)	التضحية والمخاطرة الإنسانية منقذ منغمس في الماء حتى ذقنه	إنهاك المنقذين النفسي يد المنقذ تغطي وجهه	الصمود الروحي مقابل الفراغ المادي تجاور قبة المسجد والفراغ
وكالة الأنباء الليبية (رسمي حكومي)	التكافل الأهلي المباشر حاملوا الجثث مدنيون	الحداد الفردي الصامت نظرة الرجل السن الشاردة	التعافي والإنجاز الرسمي الكامل توحد لون مياه البحر
ليبيا الأحرار (إعلامي خاص)	الإنقطاع والعزلة القسرية رجلان عند حافة الجسر المقطوع	أستمرار الدهول وتوسع الحجم وقفة صامتة من الخلف	الصمود وسط الجرح المفتوح تجاور المسجد والركام

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج

1. أثبت التحليل السيميائي لعينة الدراسة أن الصورة الفوتوغرافية لكارثة إعصار درنة لم تكتفِ بوظيفتها التوثيقية المباشرة، بل حملت مستويين متكاملين من الدلالة (الستوديوم الظاهر والبونكتوم المضمّر) أسهما معاً في تشكيل سردية جماعية متعددة الطبقات للحدث.
2. تنتقل السردية الجمعية المهيمنة على الصور عبر المراحل الزمنية الثلاث انتقالاً تدريجياً واضحاً: من سرديات "الفعل والصدمة الآنية" في لحظة الحدث، إلى سرديات "المعالجة النفسية الفردية الصامتة" في مرحلة ما بعد الحدث، وصولاً إلى سرديات "التموضع الرمزي والمؤسسي" في مرحلة الذكرى السنوية.
3. تباينت المصادر المحلية الثلاثة تبايناً طفيفاً نسبياً في المرحلتين الأولى والثانية، لكنها تباعدت بشكل حاد وصريح في مرحلة الذكرى السنوية تحديداً، إذ قدّم كل مصدر خطاباً مختلفاً جوهرياً

- عن الآخر (خطاب الصمود الروحي من مصدر ميداني، مقابل خطاب التعافي والإنجاز الكامل من مصدر رسمي، مقابل خطاب استمرار الجرح المفتوح من مصدر إعلامي خاص).
4. رصدت الدراسة نمطاً بصرياً متكرراً عابراً للمصادر والمراحل الزمنية، تمثل في تصوير الأفراد من الخلف وهم يواجهون مشهد الدمار، وهو تكوين بصري يخلق تماهياً عاطفياً مضاعفاً بين المتلقي وموضوع الصورة.
5. تحوّل معلّم واحد (مسجد الصحابة) إلى نموذج عملي واضح على تعدد التأويلات الجمعية لنفس الرمز البصري بحسب زاوية التصوير وسياق تقديمه، ما يؤكد أن العلامة الأيقونية ليست ثابتة الدلالة بل تُعاد صياغتها بحسب الجهة الناقلة لها.
6. أثبتت الدراسة أن الفارق بين "الطابع الرسمي" و"الطابع الميداني" في تناول صور الكوارث لا يقتصر على زاوية التصوير الشكلية، بل يمتد إلى اختيار اللحظة الزمنية ونوع السردية المراد ترسيخها في الذاكرة الجمعية.

ثانياً: التوصيات

1. توصي الدراسة بضرورة توعية القائمين على المؤسسات الإعلامية الليبية (الرسمية والخاصة والإنسانية) بالمسؤولية التي تحملها الصورة الصحفية في تشكيل الذاكرة الجمعية، بما يستدعي مراعاة أكبر عند اختيار زوايا التصوير وتوقيت النشر في تغطية الكوارث.
2. توصي الدراسة بإجراء دراسات مقارنة مستقبلية توسّع العينة المكانية لتشمل مصادر إعلامية عربية ودولية إضافية، للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين تمثيل الكوارث الطبيعية في السياق الليبي وسياقات عربية أو عالمية مشابهة.
3. توصي الدراسة بإنشاء أرشيف بصري موثّق رسمياً لصور الكوارث الكبرى في ليبيا (كأرشيف كارثة درنة)، يحفظ هذه الصور بتوثيق دقيق لمصدرها وتاريخها، بما يخدم الباحثين المستقبليين ويحول دون فقدان هذه المادة البصرية المهمة للذاكرة الوطنية.
4. توصي الدراسة بتوسيع نطاق الدراسات المستقبلية لتشمل تحليل استقبال الجمهور الفعلي لهذه الصور (لا الصور نفسها فقط)، عبر دراسات ميدانية تستطلع كيف يقرأ الجمهور الليبي فعلياً هذه الدلالات السيميائية، بما يكمل النتائج التأويلية للباحث بمنظور المتلقي المباشر.

5. توصي الدراسة بتشجيع المؤسسات الإعلامية على تبني معايير أخلاقية موحدة في نشر صور ضحايا الكوارث (كحجب الوجوه أو عدم عرض الجثامين بشكل مباشر)، بما يوازن بين حق الجمهور في المعرفة وحق الضحايا وأسرهم في الكرامة.

ثالثاً: هوامش ومراجع الدراسة

- ¹ الجبوري، تنصيب الذاكرة: رواية "الطوفان الثاني" لفاتح عبدالسلام نموذجاً، ط، بدون ص 17.
- ² مورييس هاليفاكس، الذاكرة الجمعية، ترجمة نسرین الزهر، دمشق/بيروت: بيت المواطن للنشر والتوزيع، 2016، ص 104.
- ³ رولان بارث، مقدمة قصيرة جداً، ترجمة سامح سمير، مؤسسة هنداي للنشر، ط 2017، ص 72.
- ⁴ لانغتون، لوب. الصحافة المصورة والأخبار في عالم اليوم. ترجمة، زينب عاطف. مؤسسة هنداي، 2018، ص 106.
- ⁵ سوزان سونتاغ، الالتفات إلي ألم الآخرين، ترجمة مجيد البرغوثي، أزمنة للنشر والتوزيع، ط 2005، ص 21.
- ⁶ الشرق الأوسط، «مدينة جرفتها المياه: مشاهد مروعة من الدمار في درنة»، 14 سبتمبر 2023، بالصور: كارثة مزّت من هنا... الإعصار «دانيال» ينشر الدمار في ليبيا | الشرق الأوسط.
- ⁷ عبدالله محمد عبدالله أبطيعة، "الأطر الخبرية للتناول الإعلامي لجائحة كورونا: (COVID-19) دراسة تطبيقية على الموقع الإلكتروني لقناة روسيا اليوم الفضائية الإخبارية"، مجلة كلية الفنون والإعلام، جامعة مصراتة، العدد التاسع، يونيو 2020، ص. 153-184.
- ⁸ عبد المجيد عمار الساعدي، الإعلام الليبي وأوجه القصور في التعامل مع كارثة إعصار درنة. مجلة الإعلام والفنون العلمية الإلكترونية المحكمة، مج 4، 2023، ع 14.
- ⁹ عبدالعالي بشير، «أهمية الصورة الفوتوغرافية في توثيق أحاسيس وتوقيف أنسياب الزمن: صورة عندما نشترى حذاءً جديداً نتبادلّه - فحصاً وتطبيقاً». مجلة البحوث السيميائية، مج 9، ع 16، 2021، ص. 40-52.
- ¹⁰ هدى مالك، «صناعة الدوال والمدلولات في الصورة الفوتوغرافية الصحفية: صورة الطفل الغريق إيلان أنموذجاً»، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 33-34، ص. 167-180.
- ¹¹ الساعدي، «الإعلام الليبي وأوجه القصور في التعامل مع كارثة إعصار درنة»، ص. 7.
- ¹² مالك، «صناعة الدوال والمدلولات في الصورة الفوتوغرافية الصحفية»، ص. 171.
- ¹³ رولان بارت، المرجع نفسه، ص 72-73.
- ¹⁴ Roland Barthes, Camera Lucida: Reflections on Photography, Hill and Wang ط. 1.
- ¹⁵ نيويورك، 1981، ص. 127.
- ¹⁵ دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. 1، بيروت، 2008، ص 32.

¹⁶ ساعد ساعد وعبيدة صبطي، الصورة الصحفية: دراسة سيميولوجية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2012، ص 60.

¹⁷ سعد سليمان عبدالله، تطور الصورة الصحفية في الصحافة العراقية: "دراسة تحليلية لصور الصفحة الأولى لصحيفة الصباح لعام 2012"، مجلة الباحث الإعلامي، كلية الآداب - جامعة تركيت، ص 77.

¹⁸ موريس هاليفاكس، *الذاكرة الجمعية*، ترجمة نسرین الزهر، بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق/بيروت، 2016، ص 104.

¹⁹ دانيال تشاندلر، *أسس السيميائية*، ترجمة طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2008، ص 32.

²⁰ روالن بارت، *المرجع نفسه* [بارت، Camera Lucida، ص 127.